

# عبدة الصورة يظلمون الثقافة السمعية في العالم العربي

على عكس مقولة «عصر الصورة».. هذا عصر الكلمة أيضا



## الكلمة أكثر إنباء من الصور

من طرف الذين يجهلون قيمتها تبقى غير مواكبة للعصر ومفرداته، بدليل أن الراديو استعاد عافيته وصار له حضوره الأخرى في العالم كله.

يكفي المثقف العربي أن يعلم أو يتذكر بأن كبار أقطاب الفكر والثقافة في العالم العربي قد مروا من أثر الإذاعة كطه حسين في "حديث الأربعاء"، وغيره من الذين وصلوا إلى شرائح اجتماعية عريضة عن طريق الكلمة المسموعة في أزمته الأبية.

هذا دون أن ننسى الموسيقى والدراما الإذاعية، بالإضافة إلى الشعر والقصة والصورات المتنوعة التي تنبعث من جهاز الراديو، ليس كوسيلة إعلام وحده بل منبر للتخفيف واكتساب المعرفة والتحاور الإيجابي.

هو منارة من المنارات التي لا ينبغي الاستغناء عنها أو الاستهتان بها في هذا العصر الذي أعاد الاعتبار للأذن كوسيلة تثقيف، وعلى عكس مما يعتقد المرءون بشكل بغائسي، أن العصر هو عصر صورة، ولا شيء غير الصورة.

ليس الأمر دعوة للعودة إلى عصر الكتابات وثقافة التلقين أو مقاطعة المكتبات ودور العرض والقراءة بشكلها الكلاسيكي، لكنه التماهي مع الطبيعة البشرية التي يحتل فيها السمع فضاء أوسع وأكثر أريحية من أسواق البصريات التي يختلط فيها الصالح مع الطالح.

الثقافة السمعية أصيلة ومتأصلة في الوجدان العربي والإنساني، وبفضلها تهذب النفوس، والدعوة إلى تهميشها

مجال الثقافة. وتتكون الهيئته المنتجة والمشرقة لبرامج الإذاعة من إعلاميين وصحافيين إضافة إلى مبدعين ومفكرين. وعرف هذا المنبر الإعلامي والثقافي مدا وجزرا، نجاحات وإخفاقات، بحسب المديرين المتعاقبين، وتقلص أو تمدد المسؤوبيات، لكنها تعتبر مكسبا ثقافيا لا يمكن التفریط فيه.

وتمكن الإذاعة بفضل عملها الجدي وسعيها الدائم للنهوض بالمشهد الثقافي من اكتساح المشهد الإعلامي وتوحيث بعدة جوانب في إضمار مشاركتها في تظاهرات ثقافية وإعلامية وطنية ودولية. الإعلام الثقافي السمعي لا يمكن أن يكون بديلا طبعاً عن المؤسسات المعنية بإبداعاتهم في مجال الفن والثقافة والأدب وكرمت العديد من النشطاء في

المعارف والثقافات بمجرد أن يضع السماعات على أذنيه ويختار ترديدها الهوائي أو موقع بثها الرقمي.

## ثقافة أصيلة

لعل التجربة الوحيدة التي أثبتت جداتها في العالم العربي، وبشهادة من أهل الاختصاص، هي إذاعة تونس الثقافية التي تأسست عام 2006، وصنعت لنفسها برمجة ثقافية مختصة في مقاربة ومناقشة جل الفنون الإبداعية والفكرية وتقديم نجاحات عدة في المجال الثقافي، كما أنها مثلت منبرا للمثقفين والمبدعين للتعريف بإبداعاتهم في مجال الفن والثقافة والأدب وكرمت العديد من النشطاء في

هناك الكثير من الكليشيهات المغلوطة والتي صارت قناعات راسخة رغم زيفها وعدم دقتها، من بينها أن هذا العصر هو عصر الصورة، وهو ما يلغى المحامل الأخرى كالكتب والسماع، لصالح الصورة، وهذه مغالطة كبرى، حيث إن ثقافة السماع والكلمة عبر الراديوها أو أثناء التنقل أو الجلوس في مكان ما أو الاسترخاء وغيره، تفوق استهلاك الصور.

حكيم مرزوقي  
كاتب تونسي



وأصبحت الانتان توأمن لا ينفصلان. بدليل أن كل محطات الإذاعات الآن، أصبحت لها كاميرات ثابتة في الاستوديو، تنقل صور المتحدثين على الأثير، تعرّف بهم بصريا وتدعم حواراتهم بالصور والأرقام اللازمة والمطلوبة.

والمؤكد أنه في عصر السرعة واختصار المسافات، وعدم تمكن إنسان العصر من الجلوس في مكان واحد وتخصيص عينيه لتتبع شاشة واحدة في أزمته المشاهدة المتحوّلة، انسحبت الصورة لصالح الكلمة المسموعة واستعادت حظوتها التي ظن الكثيرون بأنها فقدتها.

"الهايت فون" أو السماع المحمولة أصبح أكسسوارا لا غنى عنه في حياتنا المعاصرة، ويات مالوفا في أيامنا هذه أن تلج غالبية الناس بسيرون أو يجلسون أو يقفون في الطوابير وهم يرتدون سماعات على الأذنين.

يتفق الجميع على أن السمع أكثر سلاسة وأريح على الفرد من النظر الذي يمنعه من التركيز والاسترخاء. كما أصبحت الإذاعة هي "فيق الطريق" بالنسبة إلى هذه الجحافل الهائلة من المركبات التي تخصص بها الطرقات، إضافة إلى المترجلين والمهرولين والمتسكعين وممارسي رياضة المشي والسنين وفاقد البصر.

الإذاعات الثقافية في البلدان الأوروبية مثلا، هي عبارة عن مكتبات مكتزة الرفوف، متنوعة المصادر وفائقة الجودة والرقى لإنتاجات أدبية وفكرية وموسيقية وتشكيلية، هي مشاريع ثقافية تدعمها الدولة وبمساهمات ورعايات خاصة، تعزز حضورها بقوة بين مختلف الفئات العمرية دون أن تنزلق نحو الرتابة أو التفاضلية، وذلك بإشراف نخب من الأكفاء في إدارة الحوارات وتغطية النشاطات.

أهم الإذاعات الثقافية في أوروبا والتي تحظى بمتابعات وجمهور عريض، تحسب لفرنسا وألمانيا، وكذلك هولندا وإيطاليا، وفيها يستنشق المستمع جرعة كبيرة ومنعشة من

الكتاب المسموع كان له حضور للمرة الأولى في الدورة الحالية لمعرض الكتاب التونسي، التي تنتهي فعالياتها يوم 27 يونيو الحالي، كما قال محمد المي مدير المعرض، وذلك من خلال عدد محدود من العناوين، لكنه حضور واعد وطموح، خاصة من خلال المجموعة القصصية "سهرت منه الليالي" لعلي الدوعاجي، الذي عاش في عشرينيات وثلاثينات القرن الماضي، وكتاب "صوت الفقراء" بصوت الفنان "رؤوف بن عمر"، بالإضافة إلى تقديم موسوعة الإسلام لـ"معهد تونس للترجمة".

هذا الأمر يؤكد أن المادة السمعية في الحياة الثقافية والإنتاج الإبداعي لا تزال وأزنة وذات قيمة إضافية من النواحي الإعلامية والصوتية والأرشيفية، وليس فقط، تلبية لحاجة المكفوفين والمسنين كما يظن البعض.

## الكلمة المسموعة

تتعاطم أهمية المادة السمعية يوما بعد يوم في عصر الرقمية رغم تبجح بعضهم وادعائه أننا في عصر الصورة وما أدراك ما الصورة.

المرندون بشكل ببغائي  
أن هذا عصر الصورة عليهم  
أن يقرأ بأن هذا العصر  
أعاد الاعتبار للأذن كوسيلة  
تثقيف

والحق أن هذه العبارة "الكليشيه" التي ما ينكف يربدها البعض عن معرفة أو جهالة، لا تلغي الكلمة أو تهتمشها بل تثبتنها وتقوي من نفوذها وسيطرتها عندما اقترنت الكلمة بالصورة،

# موسم أصيلة الثقافي ينظم نسخته الـ42 في دورتين صيفية وخريفية

المؤسسة، بالتعاون مع وزارة الثقافة والشباب والرياضة، في صيف 2020، سلسلة من الأنشطة الفنية للتخفيف من تداعيات جائحة كورونا، والتعافي من آثارها النفسية على السكان والزوار. وانطلقت هذه الفعالية بإزاحة الستار عن منحوتة الفنانة المغربية إكرام القياح بشارع محمد السادس.

الدورتان تستقطبان أهم الفنانين والأدباء والباحثين وتنظمان فعاليات فنية وندوات بحضور عربي وأفريقي ودولي

كما نظم المنتدى تظاهرة للفنون التشكيلية باعتبارها وسيلة للتعافي من تداعيات جائحة كوفيد - 19 على مزاج السكان ومقاومة اليأس والتأثيرات النفسية المختلفة لتبعاتها وخاصة تبعات الحجر الصحي وتغيير نمط الحياة والخوف من المرض الذي أوقف كل أقطار العالم وحبس الناس في بيوتهم.

وأوضح بلاغ لمؤسسة منتدى أصيلة أن هذه الخطوة مثلت إحياء لديناميكية العمل الجمعي في مدينة أصيلة، في ظل جائحة فيروس كورونا بالمغرب، حيث "تبادر المؤسسة بالمساهمة في إكفاء شعور السكان بالمرح والطمانينة عن طريق الفنون التشكيلية كإداة لمقاومة القنوط والاحتئاب".

نافذين. ويعتبر كل موسم من المواسم الثقافية في أصيلة بمثابة رقع للتحدي نظرا إلى الحاجة إلى التجديد بدل الموقع في الرتابة.

وليس سرا أن ما كان مدينة صغيرة جدا، بل قرية للصيدان، كبر كثيرا بفضل الموسم الثقافي. فقد أمن الموسم لأصيلة موقعا متميزا على خارطة المغرب والخرطتين العربية والأفريقية في الثقافة والفن والفكر وما يطرحه من قضايا تحول الثقافة إلى عنصر تنموي فاعل.

ويعتبر الموسم منبرا لطرح أفكار طليعية تكون موضع نقاشات واجتهادات وتفسيرات في المستقبل، بل وتشغل المهتمين بتطور الحياة السياسية والثقافية والتنموية في كل دولة عربية أو أفريقية، حيث ينطلق من رهان ثقافي عميق لخلق فضاء إنساني متكامل مع بيئته ومتطور باستمرار عبر تطوير الذائقة والأفكار.

وفي وقت سابق قال محمد بن عيسى وزير الخارجية المغربي السابق ورئيس بلدية أصيلة، واصفا وضعها الراهن "تتوفر للمدينة الآن هياكل ثقافية أساسية ومنصات مجهزة للإنتاج والاستهلاك الثقافي، وكلها تحضن منذ تشغيلها أنشطة وتظاهرات على مدى السنة". باختصار، صارت أصيلة مدينة الفن والثقافة في كل فصل من فصول السنة.

يذكر أن مؤسسة منتدى أصيلة لم تتمكن من تنظيم الدورة الثانية والأربعين من موسم أصيلة الثقافي الدولي سنة 2020 وذلك بسبب تفشي جائحة كوفيد - 19، وفي المقابل نظمت

أطفال الموسم"، الذي سيقام أيضا في رواق المعارض بمرکز الحسن الثاني، و"معرض الفنانين الريلاشين الشباب" الذي سيقام بديوان قصر الثقافة.

ولا يقتفي منظمو موسم أصيلة الثقافي بالنسبة للفكرية والثقافية أو محترفات الفن التشكيلي ولا بحفلات الموسيقى المغربية والأفريقية، بل تتعدى فقرات المهرجان ذلك إلى الاهتمام بالتعبير الأدبي بكل أشكاله عند الأطفال، وفي هذا الإطار يقدم الموسم هذا العام في دورته الصيفية

محترف "الإبداع الأدبي"، الذي يشرف عليه الشاعر أحمد العمراوي، لفائدة طلبة المدارس الإعدادية والثانوية في أصيلة. وأوضح العمراوي أن المحترفات الإبداعية مختلفة عن الورشات، لأن هذه الأخيرة تتخذ صيغة جماعية، فيما الكتابة في المحترف كتابة فردية تنطلق من عمل جماعي، فالمحترف حلقة دراسية لتعلم مهارات وتقنيات الكتابة الإبداعية، مضيفا أن البعد التقني يعتبر محمدا رئيسيا، والكتابة الإبداعية ليست نسخا لنصوص أخرى بشكل عام، رغم أن كل كاتب ما هو في الأصل سوى ناسخ لغيره بشكل ما.

أما الدورة الثانية من موسم أصيلة لهذا العام، فستنظم من الجمعة 22 أكتوبر إلى السبت 13 نوفمبر المقبل، وستتضيف ست ندوات، وذلك في إطار الدورة 35 لجامعة المعتمد ابن عباد المفتوحة.

وستشهد الندوات حضورا عربيا وأفريقيا ودوليا لافتا بمشاركة صفوة من الباحثين، والمفكرين وأصحاب قرار

والذي سينشطه هذا العام 11 فنانا في مختلف أزقة مدينة أصيلة العتيقة (من 25 يونيو إلى 3 يوليو)، ومشغل النحت والرسم بمشاركة 11 فنانا في مشاغل الفنون التشكيلية في قصر الثقافة، وتنظيم مشغل الصباغة على الجداريات الخاص بأطفال مدينة أصيلة في حدائق قصر الثقافة، إلى جانب معرض "ربيعيات 2021" الذي سيقام في رواق المعارض بمرکز الحسن الثاني للملتقيات الدولية. كما سينظم معرض أعمال "مشغل

التمنية" من 9 إلى 11 يوليو، وذلك بشراكة مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو).

ويتولى المنتدى المتوسطي للشباب - المغرب "فوميج" (FOMEJ) الإشراف على الجوانب التنظيمية للندوة التي يحضرها قرابة ثلاثين مختصا من المغرب والدول العربية الأعضاء في جامعة الدول العربية.

وسيعرف برنامج هذه الدورة الصيفية تنظيم مشغل الصباغة على الجداريات، كما جرت العادة منذ ربيع



الثقافة والفن في خدمة المدينة